المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق
the Consultative Center for Studies and Documentation

سلسلة غير دورية تبحث في سياق توثيقي موضوعات محدّدة

سلسلة البحث الراجح

العدد الواحد والعشرون

جماعة فتح الله غولن

تشرين الأول ٢٠١٦

سلسلة البحث الراجع

العدد الواحد و العشرون

جماعة فتح الله غولن

تشرين الأول 2016

المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق
the Consultative Center for Studies and Documentation

مؤسّسة علمية متخصّصة تُعنى بحقلي الأبحاث والمعلومات

سلسلة البحث الراجع: سلسلة غير دورية تبحث في سياق توثيقي موضوعات محدّدة، دون التدخل فيها بالتحليل أو بالمناقشة.

إعداد: الأستاذ نسيب شمس.

صادر عن: مديرية الدراسات الاستراتيجية.

الناشر: المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق.

تاريخ النشر: تشرين الأول ٢٠١٦م الموافق محرم ١٤٣٨هـ

رقم العدد: ٢١

القياس: ٢١ × ٢٩

الطبعة: الأولى

حقوق الطبع محفوظة للمركز

العنوان: بئر حسن ـ جادة الأسد ـ خلف الفانتزي وورلد
بناية الإنماء غروب ـ الطابق الأول.

هاتف: ٠١/٨٣٦٦١٠

فاكس: ٠١/٨٣٦٦١١

خليوي: ٠٣/٨٣٣٤٣٨

Baabda 10172010
Beirut–Lebanon
P. o. Box: 24 / 47
e. mail: dirasat@dirasat. net
http: www. dirasat. net

فهرس المحتويات

تمهيد ٧

١– فتح الله غولن موجز في السيرة والافكار ٨

٢– أثر الحركة النورسية في الحركة الاسلامية التركية ١٠

٣– جذور جماعة فتح الله غولن ١٢

٤– جماعة فتح الله غولن في السياسة التركية ١٧

٥– معالم الموقف السياسي الخارجي لجماعة غولن ٢٠

ملحق ٢٥

تمهيد

منذ إنشاء الدولة الحديثة في تركيا عام ١٩٢٣، نظَّمت القوات المسلحة التركية ثلاثة انقلابات عسكرية (في الأعوام ١٩٦٠ و١٩٧١ و١٩٨٠)، وتدخلت في عام ١٩٩٧ عن طريق مذكرة عسكرية.وقد اعتبر الجيش نفسه الوصي على الدولة التركية العلمانية المنشأة في عهد مصطفى كمال أتاتورك.

وقد حاول الانقلاب الخامس في تاريخ الانقلابات التي شهدتها تركيا منذ ١٩٦٠ إسقاط نظام حكم الرئيس رجب طيب أردوغان مساء ١٥ تموز/يوليو ٢٠١٦، لكن خروج الشعب إلى الساحات والمطارات والشوارع، ورفض مجموعة من القيادات العسكرية للانقلاب، والتفاف المعارضة حول الحكومة التي بقيت تمارس عملها، كل ذلك سارع في طي صفحة الانقلاب وإعلان فشله، والشروع في اعتقال من يقف خلفه. وقد كُشف فوراً النقاب عن الجهة التي تقف خلف هذه المحاولة الانقلابية الأولى الفاشلة، والأولى لجماعة إسلاميةاشتهرت بدورها السياسي الملتبس، هذه الجماعة التي عُرفت بجماعة الخدمة، أو "الكيان الموازي"، ولعل إسمها الأشهر هو جماعة فتح الله غولن.

فمن هو فتح غولن؟ وما هو مسار فكر وتنظيم هذه الجماعة ؟ وما هي نقاط قوتها ؟ وما هي مواردها ومؤسساتها؟وصولاً إلى محاولة استشراف مستقبلها بعد الانقلاب الفاشل والحملة الأمنية والاعتقالات التي أعقبته وطاولت آلاف المواطنين من عسكريين ومدنيين خلال ٤٨ ساعة من قبل النظام التركي الذي يرأسه حليف سابق لغولن هو رجب طيب اردوغان زعيم حزب العدالة والتنمية. ومن ثم مطالبة الحكومة التركية بتسليم زعيم الجماعة المقيم في الولايات المتحدة الأميركية الحليف الاستراتيجي لتركيا.

١- فتح الله غولن : موجز في السيرة والأفكار

خاض «الداعية» فتح الله غولن، جنباً إلى جنب مع رجب طيب أردوغان، خلال السنوات العشر الأخيرة، المعركة ضد نفوذ الجيش والنخب العلمانية. وأسفر هذا التعاون عن نقلة نوعية في المجتمع التركي لمصلحة الإسلاميين. والمتابعون يعرفون جيداً أن «مساعدة» غولن ليست هامشية، فـ«الأخطبوط» تدير جماعته (المعروفة بـ«جماعة غولن») شبكة ضخمة من المدارس والشركات ووسائل الإعلام في خمس قارات. وفتح الله غولن هو اسم معروف لكل الأتراك، ولمتابعي شؤون الإسلام السياسي في المنطقة، ورغم ذلك فهذا الشخص مجهول لدى الكثيرين من أهل الحلّ والعقد في الشرق الأوسط، ورغم أنه لا يمكن أن تذكر الحركة الإسلامية التركية من دونه، خاصة عند ذكر نجم الدين أربكان، الذي اختار المواجهة المباشرة والانخراط في اللعبة السياسية الديموقراطية، فيما فضّل غولن «الكفاح بكل نشاط».

يعيش غولن الآن في ولاية بنسلفانيا الأميركية ويُقال إن لهُ شبكة كبيرة وخفية من المدارس والمراكز البحثية والشركات ووسائل الإعلام ويعتبر ثاني أغنى رجل في تركيا، إذ يمتلك في أميركا حوالي ١٠٠ مدرسة مستقلة، ويتمتع فتح الله غولن بثقافة واسعة ولديه قدرة غير محدودة على التفكير الإبداعي. وقد أخذ على عاتقه منذ انشغاله بالشأن العام في تركيا نقل تعاليم بديع الزمان سعيد النورسي بطريقة مبتكرة، من أجل إثبات قدرة الإسلام على التشكيل الحضاري.

١-١ النشأة والانطلاقة

بداية يجب التعرف إلى شخصية فتح الله غولن (خوجة أفندي)، رجل دين ولد في قرية كوروجك في شرق تركيا يوم ٢٧ نيسان/إبريل وهي قرية صغيرة تابعة لقضاء حسن قلعة في محافظة أرضروم، ونشأ في عائلة متدينة واشتهر والده رامز أفندي بالعلم والأدب، وعُرفت والدته بالتدين الشديد، حيث قام الوالدان بتعليم ابنهما محمد القرآن الكريم حتى أتم حفظه و لم يتجاوز عمره ٤ سنوات.

وتعوّد فتح الله غولن مجالسة الكبار والاستماع إلى أحاديثهم أثناء زياراتهم المتكرّرة إلى بيت والده، وقد لاحظ والده شغفه وحبه للتدين فقام بتعليمه اللغتين العربية والفارسية وتلقى تعليمه منذ صباه في مدارس دينية تسمّى"الأوقاف التركية"، وصبّ اهتمامه طيلة فترة تعليمه على العلوم الفلسفية مطلعاً على الثقافة الغربية وأفكارها إلى جانب الفلسفة الشرقية. وبعد إنهائه الخدمة العسكرية كان له دور نشط في جمعية مناهضة الشيوعية وعين غولن إماماً لجامع في إدرنة "شمال غرب تركيا" وفي أثناء ذلكَ تعرّف على رسائل النور للنورسي وهو أبرز علماء الإصلاح الديني في عصره وتأثر بكتباته وسيرته الشخصية مفضلاً اتباع نهجه وطريقته في العزوف عن الزواج والتفرغ للدعوة. وعُيّن غولن إماماً في جامع أُوجْ شرفلي بمدينة أدرنة، وهو في العشرين من عمره، حيث قضى مدة سنتين ونصف السنة، في جو من الزهد، وقرر المبيت في الجامع وعدم الخروج إلى الشارع إلا للضرورة.

بدأ العمل الدعوي في مدينة إزمير العلمانية،بجامع "كستانه بازاري"، ومدرسة تحفيظ القرآن التابعة للجامع، ثم عمل واعظاً متجولاً، يقيم الندوات والمجالس واللقاءات الخاصة التي يجيب فيها عن الأسئلة التي تجول في أذهان الناس والشباب خاصة، وفي تلك الفترة نشرّ أول كتاب لهُ، توالت بعدها الكتب لتصل إلى ٧٠

كتاباً ترجمت إلى ٣٩ لغة في مقدمتها العربية والإنكليزية والفارسية والفرنسية، وكلها تدور حول التصوّف ومفهومه عن الدين والتدين و لم ينشر أي كتاب يتناول السياسة التركية. يعود تأسيس جماعة غولن إلى العام ١٩٧٠ في مدينة أزمير، وقد اعتمدت على فكر مؤسسها وآرائه ومواقفه، ووصفت بأنها حركة إجتماعية صوفية تركز على مسلمي تركيا ومنفتحة أكثر على الغرب، في العام ١٩٧١ تولى إدارة جمعية تابعة لجماعة النور، وفي العام نفسه فتح انقلابيو ١٢ آذار / مارس ١٩٧١ تحقيقاً معه بشأن نشاطات النوريين في إزمير ونُزعت منه صفة الواعظ، فعاد إلى أرضروم عام ١٩٧٢ متابعاً هناك نشاطه النوري، وفي عام ١٩٧٣ عاد إلى إزمير وبدأ يعظ كل يوم جمعة في جامع "عالم زادة" وينظم خلايا للنوريين. وبين عامي ١٩٧٤ و ١٩٧٦ قام بإلقاء محاضرات على امتداد البلاد. كما بدأت تنتشر على نطاق واسع شرائط الكاسيت التي تتضمن خطبه وعظاته التي أكسبته شهرة كبيرة نظراً للنبرة المؤثرة والمنفعلة والمتهدجة التي كانت تميز إلقاءه.

ومتأثراً بالثورة الاسلامية في إيران، بدأ غولن في ١٩ نيسان / إبريل ١٩٨٠ ما سمّاه "حركة الخروج" في إزمير[١]، داعيا إلى تعميم طبع الكتب والمجلات على الطلاب والمعلمين بهدف الترويج لافكاره النورية، واتخذ من مهاجمة الشيوعية هدفاً في خطبه، لكنه لم يوفر الحكومة التركية من انتقاداته آنذاك، وكانت مجلة "سيزينتي" الشهرية الفكرية الناطقة باسم النوريين في إزمير منبراً لأفكاره التي كان يوقّعها باسم: MFD [٢]. ورغم أن كتب غولن تحوي الكثير من الفقه والتفسير والسيرة وغيرها، فإن السمة البارزة في منهاج الجماعة الفكري اقتصارها على فكر شيخها غولن وعدم تجاوزه إلى غيره[٣]، وما يميز هذه الجماعة إدارتها لشبكة واسعة من المدارس والمؤسسات ومنظمة غير حكومية تدعى "حزمت" ومعناها "خدمة" ومن هنا أطلق عليها على الجماعة أيضاً "جماعة الخدمة"[٤]، وهو الأسم التركي للجماعة.

٢-١ الفكر السياسي والاجتماعي لفتح الله غولن

تكمن أفكار فتح الله غولن في ما يطلق عليه "الأهداف الكبرى" التي يتحدث عنها بالقول " لا أستطيع الادعاء أنني أعرف أعماق قلبي وروحي لكن بقدر ما أعرف العالم الداخلي الذي تكمن فيه نيتي فإني لا أحمل أي غاية خارج أن أكون عبداً بسيطاً لمرضاة الله عملاً بالحديث الشريف:"خيركم انفعكم للناس" وأن أكون واحداً من الناس العاملين لمنفعة الناس"[٥]، ويظهر تأثره بأفكار بديع الزمان سعيد النورسي عندما يشبه حالة النبي إبراهيم (ع) بقول بديع الزمان "ليس في عيني عشق الجنة ولا خشية جهنم، فإن رأيت السلامة في إيمان أمتي، فأنا أرضى أن أحترق في لهيب جهنم، لأن جسمي اذ يحترق يكون قلبي حديقة ورد". وقد تعمق غولن

(١) محمد نور الدين، حجاب وحراب: الكمالية وأزمات الهوية في تركيا، رياض الريس للكتب والنشر، ط١، ٢٠٠١. ص٢٤٤.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) – جماعة غولن ... الكيان الموازي، موقع موسوعة الجزيرة

https://googl/CwJZA2

(٤) الداعية المتهم بهز عرش أردوغان.. من هو فتح الله غولن؟ موقع قناة الحرة، ١٦ تموز ٢٠١٦.

http://www.alhurra.com/a/who-is-gullen/315174.html

(٥) محمد نور الدين، تركيا: الجمهورية الحائرة، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، ط١، ١٩٩٨. ص ١٨٢.

في مفهوم النورسي عن تقوية الضمير الديني، أو الإلتزام الداخلي، حتى أنه أكد على أهمية "الخدمة العامة"، كوسيلة يتبعها المسلمون لتعظيم الله تعالى، والسيطرة على النزعات الأنانية. وتتناقض أفكار غولن مع الأفكار والآراء السياسية للجماعات الاسلامية الاخرى، مثل الاخوان المسلمين، التي ترى أن تولي حكم الدولة وجعل الشريعة الاسلامية أساس التشريع، وهو فريضة دينية، بالمقابل يدفع غولن بأن الدين يعاني من التسييس، كما أن الإخوان يرون أن الجهاد بالضرورة صراع مسلح، فيما يؤكد غولن على ان الجهاد صراع اخلاقي وروحي،، وكذلك العديد من الافكار التي تناولها في كتبه، وتظهر كأنها صورة متجددة للأصلاح الديني، وأنها تختلف عن بقية الاتجاهات الاسلامية.

يختلف غولن عن الطرائق الصوفية، إذ يرى في تجربة الأنبياء أن التواصل مع الأمة يكون باستخدام أدوات المدنية الحديثة، وهي أساس نجاح هذا التواصل، ومن هنا جاء افتراقه عن الطرائق الدينية الصوفية، وتركيزه على عنصري العلم والعقل في الإسلام، كما يدعي، ويتخذ غولن من بديع الزمان سعيد النورسي مثالاً على هذا الطريق،حيث يقول النورسي "العلم والعقل سيسودان في المستقبل، وبناء على ذلك فإن القرآن سيسود أيضاً لأنه يُخضِع كل المسائل للعلم والعقل"(٦).

من ناحية الفكر السياسي، يرى فتح الله غولن أن التحزب السياسي والأطماع السياسية خطان أحمران في هذه الدعوة للمنتظمين في نشاطها الدعوي والعلمي والنهضوي، حيث لا تحزب، ولا مطامع سياسية بإسم الحركة أو لأجلها، فهي ترفض ذلك كل الرفض، ولا تريده بسبب رؤيتها لهدفها، الذي لا تخدمه فكرة التحزبات السياسية، ولا المناصب والقيادات السياسية العليا، هذا الرؤية لعلاقة الدين بالسياسة صاغتها الجماعة في شعار "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم والسياسية".

قد يكون ما سبق ذكره مقتبسا من الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي، كما هو معروف عنه، من خلال الابتعاد عن العمل السياسي الحزبي، لكنه يعالج موضوع التحالف مع الأحزاب السياسية، في مقابل الدعم والامتيازات بتناقض شديد، ومن خلال التغلغل في مؤسسات الدولة والتقدم في المناصب الهامة. نفهم من ذلك أن غولن لا يرغب الانخراط بالعمل السياسي وإنما التركيز على الجانب المعرفي (التعاليم) والخدمة العامة للمجتمع التركي.

بشكل عام يمكن القول إن جماعة فتح الله غولن ليست حزباً، أو تنظيماً له هيكلية وتراتبية، بل هي أشبه بتيار، أو حالة إجتماعية، و يمكن القول أنها تجمع وتكتل يضم عدداً كبيراً من رجال الاعمال الاتراك والسعوديين، وبعض الشخصيات الذين تم تجميعهم بواسطة شركات ومؤسسات عبر شبكة هائلة من دور النشر والمدارس والجامعات والاستثمارات الاقتصادية، والمراكز الثقافية داخل تركيا وخارجها.

٢- أثر الحركة النورسية في الحركة الإسلامية التركية

عرفت تركيا شكلاً حديثاً من أشكال الطرق الصوفية والمجموعات الدينية، التي عُرفت بـ "الجماعة" في السلطنة العثمانية سابقاً، حيث ارتبط أعضاؤها بروابط إجتماعية متنوعة. كانت الطرق الصوفية والمجموعات

(٦) محمد نور الدين، تركيا: الجمهورية الحائرة....مصدر سابق، ص ١٨٢.

الدينية (الجماعات الموروثة) تعتمد أساليب وأدوات تقليدية في التواصل وبناء القيم لدى أفرادها، لكن الشكل الحديث من هذه الجماعات أعتمد أساليب وأدوات حديثة ذات أبعاد تربوية واجتماعية واقتصادية وسياسية متنوعة. لكن هذه الجماعات الحديثة بدأت تتميز بوجود مسارين مختلفين في طبيعة الأهداف والممارسات.

رسم النوع الأول خط عمله ليدخل مباشرة في الحياة السياسية، وعُرف بالإسلام السياسي، وكان رائد هذا النوع أو الحركة نجم الدين أربكان (١٩٢٦ – ٢٠١١) *، ويمثله حالياً الحزب الحاكم (حزب العدالة والتنمية)، رغم وجود أوجه مغايرة ومختلفة. أما النوع الثاني من الجماعات فاتخذ توجهاً نحو البقاء خارج ساحة العمل السياسي المباشر، وأكتفى بلعب أدوار تتحقق أهدافها السياسية عن طريق نتائج نهائية لأدوارها التربوية والاعلامية والاقتصادية. وقد عُرف هذا النوع بالإسلام الاجتماعي. وتعتبر جماعة أبناء النور والسليمانيون وبعض الطرق الصوفية من النوع الثاني لهذه الجماعات. وفي حين أخذت بعض هذه الجماعات تتوسع وتنتشر ظلت جماعات أخرى أسيرة للجمود والترهل والركود.

ومما لاشك فيه أن جميع الأحزاب الإسلامية التركية التى بدأت فى الظهور فى مطلع السبعينيات، اكتسبت نقاط قوتها من أتباع الحركات الاجتماعية النورسية، أي أن منح القوة السياسية لهذا الحزب أو ذاك مر بطريقة غير مباشرة عبر هذه الحركات المنتشرة في كل تركيا، وعلى رأسها جماعة الخدمة. وأن أردوغان ومن قبله أربكان، هما من صنع هذه القوة الناعمة. والملاحظ في تأسيس الأحزاب الإسلامية وحلها، في التاريخ السياسي التركي، أنه لا يهم اسم الحزب ولا من يرأسه، فكل حزب له توجه إسلامي في تركيا سوف يظهر مؤقتا ثم يختفي، وفي كل ظهور جديد هناك دائما قوة شعبية تقف خلفه، على النحو التالي:

(١) حزب النظام الوطنى (١٩٧٠–١٩٧١) : كان الحزب الإسلامي الأول فى تركيا الجمهورية الذي دعا إلى اعتماد الإسلام فى سياساته وأسسه نجم الدين أربكان، عقد الحزب مؤتمره الأول في شباط/فبراير ١٩٧٠، ولكن لم يلبث أن أحيل مؤسسه على مكتب المدعي العام في عام ١٩٧١ لمحاكمته بتهمة استغلال الدين لتحقيق أهداف سياسية، ومن أهم برامجه إعادة تأسيس وتشجيع التعليم الديني في كل المدارس التركية.

(٢) حزب السلامة الوطني (١٩٧٢ – ١٩٨٠): أسسه ١٩ شخصا، ارتبط أغلبهم بحزب النظام الوطني المنحل، وانتشر الحزب سريعاً فى ٦٧ منطقة بتركيا، بفضل الحركات الاجتماعية النورسية، وكاريزما أربكان، نجح الحزب الوليد في الحصول على ٤٨ مقعدا من ٤٥٠ في الانتخابات البرلمانية عام ١٩٧٣، وفي عام ١٩٨١ قامت السلطات العسكرية بحل الحزب.

(٣) حزب الرفاه (١٩٨٣ – ١٩٩٨): أسسه علي تركمان، بعد حظر نشاط نجم الدين أربكان وآخرين، ولكن بعد رفع الحظرفي عام ١٩٨٤ عاد أربكان رئيسا لحزب الرفاه، وشهد المجال السياسي التحول الكبير فى انتخابات ١٩٩٦ حين حصل حزب الرفاه على ١٥٨ مقعدًا من أصل ٥٥٠، ما جعله أقوى الأحزاب وسمح لزعيمه أن يصبح رئيسًا للوزراء. وفي عام ١٩٩٨ أخرج الجيش أربكان وحزبه من الحكومة، ثم في كانون الثاني/ يناير ١٩٩٨ قامت المحكمة الدستورية بحل الحزب.

• سياسي تركي تولى رئاسة حزب الرفاه ورئاسة وزراء تركيا من الفترة بين ١٩٩٦ و١٩٩٧ عرف بتوجهاته الإسلامية.

(٤) حزب الفضيلة (١٩٩٨–٢٠٠١): قام أعضاء حزب الرفاه المنحل بتأسيس حزب الفضيلة، وترشح عدة أسماء لرئاسة الحزب الجديد، من بينهم رجب طيب أردوغان وعبدالله غول، واختار الأعضاء رجائي طوقان رئيسًا للحزب فى كانون الأول / ديسمبر ١٩٩٨. وتم حل الحزب في حزيران / يونيو ٢٠٠١. بتهمة تهديد النظام العلماني في تركيا.

(٥) حزب العدالة والتنمية (٢٠٠١–): بعد حل حزب الفضيلة، انقسم الأعضاء إلى فريقين: الأول يسير على النهج الأربكاني، وبدأ إجراءات تأسيس حزب السعادة. أما التيار الثاني من حزب الفضيلة المنحل فيضم الجيل الجديد من السياسيين الإسلاميين، وعلى رأسهم عبدالله غول ورجب طيب أردوغان، وأسست هذه المجموعة حزب العدالة والتنمية، واعتلت سدة الحكم حتى اللحظة الراهنة. كل هذه المحاولات لتأسيس حزب إسلامي ما كان لها أن تستمر، في ظل هذا المناخ السياسي العجيب، إلا إذا كانت هذه الأحزاب ضامنة في كل مرة ظهور وتأسيس أن هناك قوة اجتماعية تؤازرها، وهي الحركات الاجتماعية النورية، وعلى رأسها حركة جماعة الخدمة أو جماعة فتح الله غولن...

٣- جذور جماعة فتح الله غولن

برزت جماعة فتح الله غولن، وانتشرت، نتيجة العديد من التركمات الاجتماعية والثقافية والظروف الاقتصادية، فضلا عن ظروف تركيا ما بعد الحرب العالمية الثانية. وجاءت كامتداد للحركة النورانية أو النورسية؛ وهي جماعة متصوفة، أطلق عليها أيضاً "جماعة أبناء النور"، التي أسسها الداعية الإسلامي الكردي بديع الزمان سعيد النورسي** (١٨٧٧ – ١٩٦٠) الذي ناضل من أجل الحفاظ على الهوية الإسلامية للأتراك في زمن ازدهار تركيا الأتاتوركية.

لم يكن بديع الزمان سعيد النورسي حالمًا باستعادة الخلافة الإسلامية، مقارنة بهدف حسن البنا عند تأسيس جماعة الإخوان، وإنما كان حالما باستعادة الهوية الإسلامية لتركيا، في وقت خربت فيه المساجد وهجرت، وحرمت السلطات على الأتراك المجاهرة بممارسة العبادات، ومنعت تدريس اللغة العربية وتحفيظ القرآن، وتعقبت بالسجن والتنكيل لرجال الدين، وهي حالة لم تعشها أي دولة غالبية سكانها من المسلمين تحض على المقاومة بكل أشكالها دفاعا عن العقيدة والهوية الدينية [٧].

وفي سبيل الحفاظ على الهوية الإسلامية للأتراك قضى النورسي عمره بين السجن والنفي وتحديد الإقامة، واللافت للانتباه في ذات الوقت، أنه رغم كل ذلك لم يدع مطلقًا إلى حمل السلاح في وجه الدولة العلمانية، وحرم على أتباعه وتلاميذه ومحبيه العمل بالسياسة تحريمًا مطلقًا، وكان دائم الترديد لشعار (أعوذ بالله من الشيطان والسياسة)، وعجزت السلطات التركية عن إثبات تهمة واحدة عليه، فاكتفت باستمرار سجنه ونفيه بلا تهمة، حتى بعد وفاته لم يسلم جسده من المعاناة، فقد أصرت السلطات التركية على نقل جثمانه بعد الدفن بأيام إلى مكان غير معلوم. انشغل سعيد النورسي بتأليف رسائل النور، مستغرقًا في ذلك نصف قرن من عمره،

---

(٧) أحمد موسى بدوي ، جماعة الخدمة في تركيا: هل هي حركة إصلاحية أم تنظيم إرهابي؟، المركز العربي للبحوث والدراسات، ٢٧ تموز ٢٠١٦ http://www.acrseg.org/40309

** عالم مسلم كردي، أحد أبرز علماء الإصلاح الديني والاجتماعي في عصره.

وكان يكتبها طلابه، وينسخونهافي سرية تامة، ثم يتم توزيعها في أرجاء تركيا بعيدًا عن أعين الأمن، واعتبرت هذه الرسائل تجديدا للدين الإسلامي بوسطيته وعدم تناقضه مع الحضارة الحديثة، ولا تزال هذه الرسائل حتى الآن المصدر الرئيسي للمعرفة الدينيةفي تركيا ولا علاقة لهذه الحركة من حيث المنهج والأهداف بالحركات والتنظيمات الدينية في العالم العربي[٨].

تغيرت الأحوال السياسية في تركيا في سبعينيات القرن الماضي، وسمحت السلطات بممارسة النشاط الديني في حدود ضيقة وصارمة يرسمها القانون، واستغلالًا لهذه الانفراجة السياسية أسس طلاب ومُحبو النورسي العديد من المؤسسات الخيرية لنشر تعاليمه النورسي ورسائله، وحافظت جميع هذه المؤسسات بصورة أو بأخرى على وصية النورسي لطلابه بعدم الاشتغال بالسياسة، فلا يسمح لأعضائها، بالترشح في أي انتخابات، من أي نوع، كما أن هذه المؤسسات لا تدعم بصفتها الاعتبارية أي مرشحين من أي نوع، فتحولت لهذا السبب إلى مؤسسات تمنح الدعم المعنوي والفعلي للأحزاب الإسلامية، دون أن تضطر هذه الأحزاب إلى دفع ثمن سياسي مقابل هذا الدعم، لذلك فقد شكلت هذه المؤسسات قوة ناعمة ذات تأثير عميق وممتد فى المجتمع التركي، وليست جماعة فتح الله غولن سوى واحدة من هذه المؤسسات. وأصبحت حركة اجتماعية كاملة الأركان، وفقا لنظرية تشارلز تيلي[٩]، لأنها استوفت مقومات قيام الحركة الاجتماعية بشروطها الثلاثة المتمثلة في:

(١) وجود مجهود عام مستدام ومنظم لتحقيق الفكرة الإصلاحية، يسميه تيلي "الحملة المستمرة".

(٢) وجود أشكال متنوعة من الممارسات والمؤسسات الداعمة (جمعيات، تحالفات، مواكب ثقافية، خدمات، ظهور إعلامي.. إلخ) كل هذه المظاهر وغيرها يسميها تيلي "ذخيرة الحركة الاجتماعية".

(٣) تَجَسُّد فكر الحملة في صورة أفراد يتميزون بخصائص متشابهة هي: الجدارة، الوحدة، الزخم، الالتزام.

غير أنها لم تعد حركة واحدة أيضا، إنما انقسمت إلى عدد كبير من الحركات على رأس كل منها تلميذ أو أكثر من تلاميذ النورسي تتنافس احيانا وتتصارع احيانا أخرى، ولكنها جميعا تحتفظ بصورة أو بأخرى بروح النورسي وأفكاره التنويرية الدينية المعتدلة ما يجعلها تملك نفوذًا ممتدًا في جميع أرجاء المجتمع التركي، وفي كل مؤسسات الدولة، بالإضافة إلى ما تمتلكه هذه الحركات من مؤسسات خيرية وأوقاف للصرف على التعليم والخدمات الاجتماعية والثقافية.

١ - ٣ أثر التصوف على جماعة غولن

تتلخص فلسفة فتح الله غولن في إيجاد مجتمع إسلامي ملتزم، لكنه في الوقت نفسه مجتمع متلهف للمعرفة والتكنولوجيا الحديثة. تزاوجت هذه الفلسفة مع المبدأ الأول في التدين على منهج الطرق أو الجماعات الصوفية، ويقول المبدأ "لا تخالف شيخ الجماعة مطلقاً فيما يأمرك به؛ ولا إنكار ولا مخالفة لشيء مما يقوله مطلقاً ولا اعتراض عليه بلسان أو بقلب"!

ومثل هذا المعتقد يجعل من التصوف الطرقي فرصة ثمينة لدهاة السياسة؛ الذين يريدون استغلال وتوظيف الدين لخدمة مصالحهم السياسية، وتذليل العقبات أمام أطماعهم؛ ولن يجدوا أفضل من مثل هذه الجماعات لتوظيفها..

---

(٨) المصدر السابق ذكره.

(٩) عالم اجتماع أميركي (١٩٢٩–٢٠٠٨) كتب في العلاقة بين السياسة والمجتمع، وهو متخصص في الحركات الاجتماعية الحديثة.

ولعل أبرز صور هذا الاستغلال في التاريخ المعاصر: توظيف الاستعمار لشيوخ الطرق الصوفية في دعم مشروع احتلال الدول الإسلامية، وإضعاف مقاومة الشعوب لذلك الاحتلال..وَمِمّا شاع عن بعض شيوخ الطرق أنهم كانوا يقولون لمريديهم المطيعين: "الاستعمار قضاء الله وقدره؛ فلا تعترضوا على قدر الله"!

ومن هنا فإن الدول الاستعمارية تعتبر شيوخ الطرق الصوفية حلفاء لها: وقد نقل علال الفاسي عن "أودينو" قوله: "إننا نعلم أنهم –أي: السلفيون– لا يقاومون عبد الحي الكتاني وعبد الرحمان الدرقاوي وأمثالهما من المشايخ الصوفية، إلا لأنهم أحبابنا، وقد علموا أنهم تحالفوا معنا في أحرج المواقف ضد ابن عبد الكريم وأمثاله من الثوار"[١٠]. فيما يقول دانييل بايبس رئيس منتدى الشرق الأوسط في الولايات المتحدة الأميركية:"الغرب يسعى إلى مصالحة التصوف الإسلامي ودعمه لكي يستطيع استيعاب الساحة الدينية والسياسية وفق ضوابط فصل الدين عن الحياة، وإقصائه نهائيا عن قضايا السياسة والاقتصاد، وبالطريقة نفسها التي استخدمت في تهميش المسيحية في أوروبا والولايات المتحدة"[١١].

وانطلاقاً من هذه الرؤية، أوصت مراكز التفكير والدراسات في الغرب الساسة وصانعي القرار بضرورة دعم هذا النوع من التصوف والاستمرار في التحالف معه؛ وخصت فتح الله غولن بالذكر؛ فقد قسمت مؤسسة راند في تقريرها "إسلام حضاري ديمقراطي"، المجتمع المسلم إلى أربع فئات: المتشددون، والتقليديون، والمجددون، والعلمانيون. وأوصت بأن المجددين هم من يجب على الولايات المتحدة الأميركية أن تدعمهم للوصول إلى إسلام معتدل مساير للحضارة الغربية، وضربت عدة أمثلة لأولئك المجددين، وكان من أبرزهم فتح الله غولن، حيث قالت عنه: "غولن صيغة لتحديث الإسلام شديدة التأثر بالصوفية، ويركز على التنوع والتسامح واللاعنف"،وفي تقريرها الآخر "بناء شبكات مسلمة معتدلة" والذي جعلت فيه الصوفية أحد الحلفاء المرتقبين لأميركا؛ ضربت مؤسسة راند مثلا لذلك الشريك الصوفي المرتقب بفتح الله غولن؛ إذ قالت عنه: "ويشجع القائد الديني التركي (فتح الله غولن) الإسلام الصوفي الحديث المعتدل، حيث إنه يعارض تنفيذ الدولة للقانون الإسلامي مشيرا إلى أن معظم اللوائح الإسلامية تتعلق بالحياة الخاصة للأفراد، ويهتم القليل منها بأمور الحكم، فالدولة كما يعتقد هو لا ينبغي أن تطبق أو تنفذ الشريعة الإسلامية، لأن الدين مسألة شخصية".

يرى البعض ان السر وراء العلاقة الجيدة بين فتح الله غولن وحكام تركيا السابقين من العسكر العلماني، كالرئيس سليمان ديميريل، وبولنت أجاويد، الذين أطلقوا يده في تأسيس المدارس والمجمعات التربوية يكمن في نشره ما يرسخ علمانية الدولة، بخلفية صوفية ومناهج مبتكرة وعصرية. وهذا ما يفسر أيضاً الاهتمام الكبير لجماعة غولن بالتعليم لما له ممن آثار على الواقع التربوي.[١٢] "

---

(١٠) الفاسي علال، حديث المغرب في المشرق، المطبعة العالمية،القاهرة، ط١، ١٩٥٦، ص ١٢.

(١١) صحيفة الزمان، ١٢ تشرين الاول ٢٠٠٣، العدد:١٦٣٣.

(١٢) حمّاد القباج أين تكمن خطورة جماعة فتح الله غولن، (موقع هسبريس المغربي)، ٢٠١٦/٧/٢١،
http://www.hespress.com/writers/314917.html

٢ - ٣ الهيكل، والمنهج والأهداف[١٣]

تنقسم هيكلية الجماعة إلى قسمين: (راجع الهيكل التنظيمي – ملحق رقم –١ –)

١ – داخليا: يتولى غولن رئاسة هذه المجموعة مباشرة، ويضم المجلس الاستشاري أو الشورى١٢ شخصاً، وتكون الادارة على شكل أئمة؛ وهي: أئمة الدولة، أئمة الأقاليم، أئمة المدن، أئمة الحرفيين، المسؤوولين عن أئمة المناطق أو الأحياء، أئمة العوائل أو الأسرة،، الشخص المنظم للأئمة، المسؤول التعليمي عن الطلاب (الابتدائي والثانوي)، المسؤول عن الدورات والمدارس الخاصة.

٢ – خارجيا: يتكون التنظيم الخارجي من أربعة مفاصل رئيسة وهي منطقة الشرق الأقصى وأوروبا وأميركا والجمهوريات الإسلامية وأفريقيا، وتشمل من الدول انكلترا، وألمانيا، وايطاليا، وبلجيكا، وهولندا، وكوريا الجنوبية، واليابان، وأندونيسيا، وتايلاند، والصين، فضلاً عن دول عربية مثل العراق وسوريا ولبنان ودول عربية من شمال أفريقيا مثل ليبيا وتونس، وكينيا ونيجيريا والصومال.

ركزت جماعة الخدمة في عملها أساسا على التعليم، فهي تبني المدارس داخل وخارج البلاد، كما أنها اخترقت المجتمع بإنشاء مؤسسات اقتصادية وإعلامية وطبية وثقافية وإغاثية وكانت القفزة الكبيرة في نشاط الجماعة بعد انقلاب عام ١٩٨٠ حيث استفادت من دعم الدولة ومن مساحات الحرية المتاحة، لتبدأ رحلتها مع إنشاء المدارس خارج تركيا، مروراً بتكوين وقف الصحفيين والكتاب الأتراك، الجهة الممثلة للجماعة بشكل شبه رسمي.

تدير حركة غولن أكثر من ١٥٠٠ مؤسسة بمختلف مراحل التعليم إضافة إلى ١٥ جامعة منتشرة في أكثر من ١٤٠ دولة في مختلف أنحاء العالم. وأهم ملامح هذه المؤسسات التعليمية أنها تتفق مع علمانية تركيا، ولا تطبق برامج تحمل مواصفات دينية. وتسعى هذه المؤسسات إلى تعزيز الاعتماد على التكنولوجيا الغربية المقرونة بالقيم الإسلامية. كذلك هناك شركات خاصة وأعمال تجارية ومؤسسات خيرية، فضلاً عن مراكز ثقافية وسلسلة مؤتمرات سنوية في بريطانيا والاتحاد الاوروبي والولايات المتحدة*.

أما في قطاع الإعلام فتمتلك الحركة عدة مؤسسات إعلامية منها وكالة "جيهان" للأنباء، كما تمتلك مجموعة "سامانيولو" التي تضم ست قنوات تلفزيونية متنوعة، إضافة إلى ثلاث إذاعات. وتغطي هذه المجموعة ١٥٠ دولة، ولها بث خاص في أميركا وأوروبا ودول آسيا الوسطى باللغات التركية والإنكليزية والألمانية والأذرية. كما تمتلك مجموعة زمان الإعلامية التي تصدر جريدتي زمان التركية ونسختها الإنجليزية "تودَيْ زمان". وفي القطاع الاقتصادي تمتلك الحركة "بنك آسيا"، بينما يتجمع رجال الأعمال الذين يدورون في فلكها في جمعية "توسكون".

---

(١٣) حول هذه العناوين راجع: قاسم حسين الربيعي، من هي جماعة فتح الله كولن. وما أفكارها وأهدافها.
تحليل السياسات ٣٨ ، مركز بلادي للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٥ /٢٠١٦/٧. وأيضاً، موقع موسوعة الجزيرة، مصدر سبق ذكره.

* المصدر: محمد نور الدين، حجاب وحراب: الكمالية وأزمات الهوية في تركيا، رياض الريس للكتب والنشر، ط١، ٢٠٠١. ص ص ٢٤٦ – ٢٤٨

يتبنى غولن مفهوما غير مسيّس للدين، فهو يرى أن "الإسلام ليس أيديولوجية سياسية أو نظام حكم أو شكلاً للدولة" كما يصر على وصف جماعته بأنها "فوق السياسة". وفي الوقت الذي تبتعد فيه الجماعة عن العمل السياسي الحزبي، فإنها تنهمك في التحالف مع الأحزاب السياسية في مقابل الدعم والامتيازات، وتعمل على التغلغل في مؤسسات الدولة والتقدم في المناصب الهامة.

وتبرز في أدبيات "الخدمة" فكرة النفوذ والتغلغل في أجهزة الدولة المختلفة دون رؤية واضحة أو أهداف محددة لمرحلة ما بعد "التمكين" الذي تتحدث عنه. ويرى البعض أن الجماعة تنتهج "تقية سياسية" تجيز لأعضائها التخلي عن بعض العبادات والشعائر لإخفاء هويتهم، حتى لا يتم استبعادهم من أجهزة الدولة، خاصة الجيش والشرطة.

وسعت الحركة للوصول إلى المناصب العليا في مختلف المؤسسات –وخصوصاً الجيش والاستخبارات والشرطة– تأهباً لمشروع سياسي مستقبلي، وقد تبينت صحة هذه المعلومة بعد محاولة الانقلاب الفاشلة التي اتهمت الجماعة بها من خلال العملية الأمنية وحملات الاعتقال التي قام بها النظام التركي بقيادة رجب طيب أردوغان.

٣ – ٣ الموارد المالية لجماعة فتح الله غولن

إمتلكت جماعة الخدمة قوة اقتصادية مكونة من العدد من الشركات الخاصة والبنوك، بدءاً من بنك آسيا الإسلامي التركي، الذي يعد أكبر المصارف الإسلامية في البلاد والعاشر على الإطلاق على مستوى تركيا، فضلاً عن علاقة الجماعة بعائلة "كوتش"، وهي أثرى العائلات التركية تعمل في كل قطاعات الاقتصاد التركي، من التغذية وصولاً إلى الصناعات العسكرية، ورئيس المجموعة الحالي "مصطفى كوتش" على خلاف مع حكومة رجب طيب أردوغان، اذ اتهمه مقربون من الحكومة بدعم أحداث ميدان تقسيم "كيزي بارك" في حزيران/ يونيو ٢٠١٣، عبر التمويل والتحريض على ذلك في جامعة كوتش، وذكرت مصادر تركية أن غولن، بالإضافة إلى كونه شيخ الجماعة ومرشدها الروحي، فهو رجل أعمال يدير الصفقات ويخطط لأكبر المشاريع ويقرر مصير شركات ومؤسسات مالية ضخمة، كما يعطي التعليمات لتحريك مئات ملايين الدولارات من بنك لآخر.

وقد نشرت الصحف التركية بتاريخ ٩ آب/ أغسطس ٢٠١٢ تقريرا للمخابرات التركية عن تحركات وإمكانيات حركة فتح الله غولن داخل وخارج تركيا بطلب من أردوغان، وتم إعداده من قبل العناصر الحكومية المتواجدة في داخل الحركة وهم ٤ سياسيين و ٥ عسكريين و١٧٣ أمنيين، و٢٣ من جهاز المخابرات، وجاء في التقرير :

- أن رأسمال الحركة يقدر ١٥٠ مليار دولار.
- يستند دعم الحركة إلى أكبر الشركات والمؤسسات العالمية وتقدر بـ ٧٠٠ شركة و٦٥ مؤسسة.
- يقدر حجم الأعمال السنوية للحركة ٧ مليار اتدولار أميركي.
- يبلغ عدد الأشخاص الأداريين الذين يتولون ادارة هذه الاعمال بشكل رسمي ٤٨٠٠ موظف.

ويرجع المحللون التنامي السريع لنجاح الحركة إلى كونها تحظى بالثقة لدى رجال الأعمال الجدد في الأناضول وخاصة في محافظات (عنتاب، قونية، قيصري، دينيزلي) وغيرها، والتي تطورت من المدن التجارية الصغيرة إلى مدن صناعية كبرى في السنوات العشرين الماضية، حيث تعمل المؤسسات المالية التابعة لجماعة غولن على تطوير أقوى المشروعات في تركيا، إذ إن غولن يعي جيداً أهمية السوق والفرص التي يتيحها الاقتصاد الحر، ولذلك فإن فلسفته تنسجم تماماً مع الجماعات التجارية الناشئة، وتلتقي برجال أعمال ويرددون الاراء التي أعرب عنها غولن في احد خطبه " إن الثقة بتركيا في طريقها للارتقاء مرة أخرى بعد سنوات من الضعف والعار، والتركيز على الحفاظ على الاخلاق بدلا من الاسلام الرديكالي"[١٤]، وعلى الرغم ما يمتلكه غولن من مؤسسات إعلامية ومدارس وجامعات ضخمة، لا توجد حتى الآن تقارير واضحة وشفافة تفيد بمصادر ثروة غولن الهائلة، رغم أن النظر إلى قيمة المنح الدراسية للطلاب في مدارس غولن المستمرة لإكمال التعليم الجامعي في الولايات المتحدة ضخمة و مستمرة دون أي انقطاع أو تعثر.

٤- جماعة فتح الله غولن في السياسة التركية

١ - ٤ حقبة ما قبل العدالة والتنمية

في ٢٨ شباط/فبراير ١٩٩٧ انقلب العسكر على حكومة نجم الدين أربكان الذي حصل حزبه (الرفاه الوطني) على الأغلبية وقاد ائتلافا مع حزب "الطريق القويم" برئاسة تانسو تشيلر. عقب إجراءات العسكر التي تلت الانقلاب ضد كل التوجهات الإسلامية ومن ذلك منع الحجاب في الجامعات كان غولن يعلن أنه "إذا كان على بناتنا أن يخترن بين التعليم والحجاب فليخترن التعليم"، وأعلن استعداده للتنازل عن مؤسساته التعليمية للمؤسسة العسكرية.

لكن الدولة بدأت تضيق على غولن بعد تقارير عن تغلغل جماعته في مفاصلها، فتوجه إلى الولايات المتحدة عام ١٩٩٩ بحجة العلاج، إلا أن الكاتب الصحفي التركي حسين غولارجه، المقرب سابقا من منظمة الكيان الموازي، لا يصدق حكاية العلاج بينما في تركيا مستشفيات متطورة. ويرى أن التضييقات التي أعقبت الانقلاب دفعته للمغادرة، فحصل على الإقامة الدائمة في أميركا وكفلته شخصيتان من السي.آي.إيه. إلى ذلك يضيف الكاتب والمحلل السياسي محمد زاهد غول أن الأشخاص الذين زكوا غولن وجعلوه الابن المدلل يمثلون مفاصل الدولة الأميركية وهم من اليمين واليمين المتطرف ومقربون من الحركة الصهيونية[١٥].

عُرف فتح الله غولن الرجل بصعوده السريع الذي أثار قلق أنقرة عام ١٩٩٩ عقب انتقاده الحكومة، ورغم اعتذاره عن الانتقاد، فإن النائب العام التركي قرر فتح تحقيق معه و تدخل آنذاك الرئيس بولند أجاويد لحل الأزمة، بعدما ظهر في فيديو يتحدّث فيه إلى عدد من أنصاره، «إنهم سيتحركون ببطء لتغيير المجتمع والنظام

(١٤) «صوفية فتح الله غولن والكماليون الجدد»، موقع المجلة ، ١٥ حزيران ٢٠١٢.

https://googl/KBSyKF

(١٥) فيلم الكيان الموازي: من النشأة حتى الانقلاب الفاشل، قناة الجزيرة، ١٥ آب ٢٠١٦.

http://www.aljazeera.net/programs/al-jazeeraspecialprograms/2016/8/9/%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%8.A%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%88%D8%A7%D8%B2%D9%8A

التركي تدريجاً من نظام علماني إلى نظام إسلامي». ثمّ قرّر الاختفاء عن الأنظار، والانتقال إلى الولايات المتحدة، حيث يعيش في ولاية بنسلفانيا.

رغم صعوده السريع لم يكن الرجل بعيداً عن أعين الاستخبارات التركية، فالبعض يعتقد أن غولن انخرط في العمل السياسي بشكل واضح عام ١٩٧١، مستفيداً من التطورات السياسية التي شهدتها تركيا في اعقاب انقلاب عام ١٩٧١، واتهمته الحكومة التركية آنذاك بمحاولة تغيير الأسس الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للنظام القائم (العلمانية) واستغلال الشعور الديني للشعب، عبر القيام بتشكيل جمعية سرية للوصول إلى هذا الهدف، وقد اعتقل غولن لمدة ستة أشهر فقط.

وفي أعقاب انقلاب العام ١٩٨٠ أظهرت بعض التقارير أن فتح الله غولن مريض، وكان يتنقل متخفياً من مكان إلى آخر، ثم قدم استقالته من منصب الافتاء الشرعي، وبدأ باستخدام إسم مستعارً في كتاباته "الضحاك" وهو المعنى باللغة العربية لإسمه الحقيقي بالتركية غولن، واستمر بالتخفي حتى العام ١٩٨٥ حين ورود اسمه في قائمة المطلوبين من جانب قيادة الجيش التركي. ونشأت علاقة بينه وبين حزب التحرير. ولكنه نجح بدعم من تورغوت أوزال زعيم حزب الوطن في ترتيب وضعه كمطلوب، الأمر الذي سمح له بمعاودة نشاطاته العلنية بدءا من العام ١٩٨٧. حيث عمل على التواصل مع حزب العمل القومي بزعامة ألب أرسلان توركيش بهدف بث التربيةالإسلامية للقوميين اليمينيين. وقد دعم غولن ائتلاف توركيش ونجم الدين أربكان في انتخابات العام ١٩٩١ [١٦].

وبسبب وضعه الصحي غادر غولن تركيا مرات عدة خلال العام ١٩٩٠. وبعد سقوط الاتحاد السوفياتي باشر غولن نشاطاً ملحوظاً في الجمهوريات الاسلامية الناطقة بالتركية في آسيا الوسطى. وفي العام ١٩٩٤ أسس "وقف الصحافيين والكتاب". ثم برز بقوة في العام ١٩٩٥، وتلقى تهديداً بالقتل من جانب منظمة ""مقاتلي الشرف العظيم الاسلامي – ج"بسبب مواقفه المعتدلة من الدولة التركية. اتّسم عمله بالهدوء وبالصمت وأحياناً بما يشبه التقيّة. وكانت تقارير الاستخبارات التركية، منذ أواخر الثمانينيات، تشير بالأصبع إلى أن غولن يقف وراء خلايا الضباط ذوي الميول الإسلامية، الذين كان يطرد العشرات منهم دورياً مع كل اجتماع للشورى العسكرية (يُعقد مرتين في السنة).

كتب الكثير عن غولن في الدوريات الغربية والصورة المتداولة عنه أنه «زعيم حركة اجتماعية إسلامية قومية غير معادٍ للغرب»، ووجه المستقبل للإسلام الاجتماعي في الشرق الأوسط، لكن معارضيه يقولون عنه إنه الخطر الحقيقي على العلمانية التركية، ويتهمونه بمحاولة تقويضها عبر أسلمة الممارسات الاجتماعية للأتراك. ويتخرج كل سنة من هذه المدارس حوالي خمسة آلاف طالب. ويقارب الإنفاق على هذه الـ ٢٠٧ ثانويات وست جامعات وست مراكز لغة وست مساكن جامعية حوالي المليار و ٢٠٠ مليون دولا سنوياً على عكس نجم الدين أربكان، الذي يُعَدّ «أبا الإسلام السياسي» في تركيا، يطلق على غولن «أبو الإسلام الاجتماعي»، لأنه عمل بطريقة مغايرة، وهو يمتلك مئات المدارس في تركيا وخارجها.

وفي العام ١٩٩٠ بدأ غولن يقدم نفسه كصاحب مشروع الاسلام الاجتماعي المعتدل المنفتح على الحوار

(١٦) محمد نور الدين، حجاب وحراب... مصدر سابق. ص ٢٤٥.

مع الأديان الأخرى، وتكلل هذا المسعى بدعوة بابا روما السابق يوحنا بولس الثاني لفتح الله غولن واللقاء به عام ١٩٩٩.

لكن البروز الأقوى لغولن إلى الواجهة كان في عام ١٩٩٥، حينما زاره سفراء كل من الولايات المتحدة ألمانيا وبريطانيا وروسيا، وخلال المواجهة بين الجيش وحزب الرفاه الإسلامي، وقف غولن على الحياد منتقداً، ضمناً، أربكان، وفي صيف ١٩٩٧، غادر إلى الولايات المتحدة، ثم عاد إلى تركيا، وما لبث أن ذهب مجدداً إلى الولايات المتحدة واستقر في ولاية بنسلفانيا، و لم يتجه إلى أي بلد إسلامي آخر، و لم يعدإلى تركيا على رغم علاقته الجيدة بحكومة حزب العدالة والتنمية في السابق، ورغم أن أن رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان وجه دعوة له للعودة إلى البلاد في ١٤ حزيران/ ٢٠١٢، إلا أنه رفضها بحجة أن الدعوة يجب أن تكون من الجماهير، وأن الظروف في تركيا ما زالت غير مواتية.

تمتلك جماعة الخدمة مبادرة حضارية شاملة كما تزعم، ولديها قدرات كبيرة على تفعيل هذه المبادرة على الأرض داخل وخارج تركيا، مما جعلها تحظى بالقبول الاجتماعي والثقافي الواسع، وأصبحت بحق قوة ناعمة غير قابلة للاحتواء. وكانت قيادات العدالة والتنمية على يقين بهذه الحقيقة. ومن المعروف أن الحزب فى بداية حكمه استعان بفتح الله غولن وكوادر الخدمة فى رسم السياسات التعليمية والثقافية التركية، كما يُعتبر أردوغان الابن الحقيقي لفتح الله غولن أكثر من أبوة نجم الدين أربكان. لكن المشكلة أن حزب العدالة والتنمية أراد احتواء جماعة الخدمة، وأن تكون مؤيدة تأييدا مطلقا لحزب العدالة والتنمية، أو يتم التنكيل بها ووصفها تعسفيا بالمنظمة الإرهابية، وبناء على الرهانات الخاطئة لرجب طيب أردوغان والظروف الإقليمية المحيطة بتركيا، كان التوجه نحو شيطنة جماعة الخدمة عبر أربع وقائع متعاقبة.. كيف كان ذلك؟

٢ - ٤ الصراع بين حزب العدالة والتنمية وجماعة الخدمة

أولاً– تمثل مظاهرات ميدان تقسيم في شهر أيار/ مايو من عام ٢٠١٣ بداية توتر العلاقة بين أردوغان والقوى السياسية والاجتماعية التركية، ومن بينها جماعة الخدمة، فقد اعتادت تلك القوى على الاحتفال السنوي بعيد العمال في هذا الميدان منذ سنوات طويلة، وتعكس فعاليات الاحتفال بشكل كبير موقف الأتراك من النظام الحاكم، وعلى خلفية ربيع الميادين العربية، قررت حكومة أردوغان القيام بعدة مشروعات لتغيير معالم الميدان لمحو رمزية الميدان فى الحياة السياسية التركية. فضلًا عن ظهور أردوغان فى نهاية مدته كرئيس للوزراء بمظهر الحاكم بأمر نفسه.

تعاملت الشرطة بعنف مفرط مع المتظاهرين، ما أدى إلى اندلا ع المظاهرات فى مدن تركية أخرى، وهنا حاول أردوغان الخروج من الورطة باستحضار العدو الداخلي حينما اندفع فى اتهام فتح الله غولن مؤسس جماعة الخدمة بتدبير أزمة ميدان تقسيم، مدعيًا أن قوات الأمن التى تعاملت بعنف مفرط مع المحتجين هم من أنصار غولن الذين يسيطرون على مواقع مهمة داخل قوات الشرطة التركية، وعلى إثر ذلك قام أردوغان بالتخلص من مئات القيادات الأمنية.

ثانياً– بعد ذلك شهور قليلة استطاعت الشرطة التركية وهيئة الادعاء العام الكشف عن مجموعة قضايا فساد كبيرة تورط فيها وزراء ومسؤولون وأبناء مسؤولين متنفذين فى الدولة وامتدت لتطال أسرة أردوغان. ومرة أخرى استحضر أردوغان العدو المصطنع مندفعا نحو اتهام جماعة الخدمة بالسيطرة على القضاء. ولا يمل

أردوغان من ترديد مقولة الدولة الموازية. وحاول بشكل سافر التغطية على هذه الجرائم وعدم الاعتراف بها. وهنا ظهرت عبارة "الكيان الموازي" التي وسمت بوسم "الإرهاب".

ثالثاً– عاد أردوغان وقبيل الانتخابات البرلمانية عام ٢٠١٥ وطمعًا فى الحصول على أغلبية مطلقة تتيح له تغيير الدستور والتحول إلى النظام الرئاسي، وقام بشن حملة ضارية على الجميع، متهما حزب الشعب وجماعة الخدمة وحزب الشعوب الديمقراطي، بالتواطؤ معًا من أجل تدمير الهوية الإسلامية لتركيا، ووقف مشروع تركيا المستقبل. يحاول أردوغان التشويش على الرأى العام، واستغلال سطوة الحزب وسطوته الشخصية مدعيا احتكار الوطنية لنفسه كقائد ولحزبه كتنظيم سياسي، موزعا الاتهامات الجزافية على الجميع. كما حدث فى مسألة الأكراد الأتراك، وكيف حولهم من فصيل نجح فى الاندماج فى الحياة السياسية التركية، بعد حصول حزب الشعوب على ٧٩مقعدًا فى البرلمان التركي، إلى قوة سياسية تواجه الاعتقال والتوقيف.

تعقد مقارنات كثيرة في الأحاديث الغربية بين نجم الدين أربكان، الذي يرى الولايات المتحدة عدواً للعالم الإسلامي بسبب تحكم «الصهيونية العالمية» في قرارها، وبين غولن الذي يراها والغرب عموماً قوى عالمية لا بد من التعاون معها. الأهم أن غولن ـ على عكس أربكان ـ لا ينظر إلى العالم العربي وإيران بوصفهما المجال الحيوي لتركيا، بل يرى ذلك في القوقاز وجمهوريات آسيا الوسطى والبلقان لأنها تضم أقليات تركية، لذلك ينطلق في مشروع مكانة تركيا إلى نفوذ قوي لها وسط الأتراك في كل مكان في العالم.

براغماتية غولن جعلته لا يستخدم تعبير «القيادة التركية» في المنطقة، كذلك فإنه لا يدعو إلى استقلال الأقليات التركية في وسط آسيا، ولا تمارس جماعته أنشطة تعليمية في البلاد التي يمكن أن تتعرض فيها الأقليات لمشكلات مع النظم الحاكمة مثل الصين وروسيا واليونان. واللافت أيضاً أنه لا يفضل تطبيق الشريعة في تركيا، بل يقول إن الغالبية العظمى من قواعد الشريعة تتعلق بالحياة الخاصة للناس، فيما الأقلية منها تتعلق بإدارة الدولة وشؤونها، ومن هنا يرى أن «الديموقراطية هي أفضل حل»، لهذا يكنّ عداءً لـ«الأنظمة الشمولية» في العالم الإسلامي.

٥- معالم الموقف السياسي الخارجي لجماعة غولن

يرى فتح الله غولن وجوب أن تكون السياسة الخارجية التركية قائمة على :

- إقامة علاقات مع الولايات المتحدة الأميركية.
- إقامة علاقات مع "الكيان الإسرائيلي".
- تشجيع تركيا على الانضمام إلى الاتحاد الاوروبي.
- التعامل مع الملف النووي الإيراني بحزم، وعدم الليونة في موقف السياسة الخارجية التركية وقد ذكر الكاتب التركي إحسان يلماز في مقاله المنشور بصحيفة "تودي زمان" التابعة لجماعة غولن "تتحفظ جماعة غولن على سياسات حكومة أردوغان، المرنة التي تبديها الحكومة في تعاملها مع الملف النووي الإيراني، والتصعيد ضد إسرائيل بلا جدوى"

من الغريب موقف غولن من حادثة سفينة مرمرة في ٣١ آذار ٢٠١٠، حيث انتقد تسيير سفينة مرمرة لكسر

الحصار المفروض على غزة، كما أنه أدان سحب السفير التركي من تل أبيب عقب تلك الأحداث وإن كان عبر عن تضامنه مع شهداء غزة خلال العدوان الإسرائيلي صيف ٢٠١٤.

ويبقى الأغرب في موقف غولن موقفه من الأكراد رغم أصوله الكردية، حيث رفضت جماعة غولن إجراء مفاوضات مع الاكراد، عندما قام مستشار الاستخبارات التركي هاكان فيدان بإجراء مفاوضات سرية في العاصمة النرويجية أوسلو مع قيادات حزب العمال الكردستاني. حينها قام المدعي العام التركي المحسوب على الجماعة في ٧ شباط / فبراير ٢٠١٢ بفتح تحقيق مع مستشار المخابرات التركية. الأمر الذي جعل رئيس الحكومة يجري تعديل قانوني لا يسمح بمحاكمة مستشاري المخابرات التركية إلا بإذن منه، وقد ول الحال إلى أن تصرح الحكومة حينها بأن هناك "دولة داخل الدولة".

على أن الموقف الأقوى لجماعة فتح الله غولن هو إظهار زعمائها مهارة في التسويق لها كبديل معتدل عن تنظيم القاعدة والحركات التابعة له. فبعد يوم واحد من هجمات الحادي عشر من أيلول/ عام ٢٠٠١، نشر غولن إعلانا من صفحتين في صحيفة "نيويورك تايمز" يقول فيه إن "الإرهابي لا يمكن أن يكون مسلما، كما لا يمكن أن يصبح المسلم الحق إرهابيا"[١٧].

١ – ٥ نظرة فتح الله غولن للشيعة

يقول فتح الله غولن في إحدى مقابلاته[١٨] بأنه "لا ينبغي أن يكون هناك إشكالية عند السنة إزاء الجماعات الشيعية التي تكن حبّا خاصّا لآل البيت" ولكنه يستدرك قائلاً: "لكن للأسف، كان قادة الشيعة يميلون إلى توظيف هذه الجهود لأغراض توسّعية خاصة بهم".

ويقول حول الفتنة السنية الشيعية بأنه "ولو بدت المشكلة في الظاهر على شكل توتر سني – شيعي، فحقيقة الأمر أنها مرتبطة بأهداف سياسية، مثل الهيمنة على المنطقة وتوسيع دائرة النفوذ والتحوّل إلى قوة إقليمية. تُستَخدم اليوم الانتماءات الدينية والمذهبية والطائفية كوسيلة لتحقيق هذه الأهداف؛ إذ يقوم بعض الساسة بتحويل الدين إلى آيديولوجية سياسية وتضييق مساحته لتوافق ذهنياتهم السياسية القمعية المحدودة.[١٩]"

ويضيف منتقداً إيران بأن " لا أحد يستطيع أن ينكر أن إيران اليوم تسعى إلى تحقيق غايات قومية فارسية تحت ستار التشيّع. بالطبع، يحق لأي دولة أن تعزز مصالحها الوطنية وتحاول حمايتها عبر وسائل مشروعة في الساحة الدولية، لكن لا يصح أن تكون الوسيلة إثارة التوتّرات الدينية والطائفية والعرقية. على جميع المنظمات الدولية أن تكافح هذا الخطأ"[٢٠]. وفي معرض انتقاده للجماعات الاسلامية يقول: "لا ينبغي أن يكون هناك إشكالية عند السنة إزاء الجماعات الشيعية التي تكن حبّا خاصّا لآل البيت. بل مبادئ ديننا لا تسمح لأي دولة بممارسة القمع والإساءة على أساس الفوارق الطائفية في محاولة للظهور كقوة قليمية".

ويعبر عن أسفه على إقدام "بعض الأفراد والجماعات على تقديم تفاسير مضللة عن المدرسة السنّية، وذلك

(١٧) المصدر السابق ذكره.

(١٨) صحيفة الشرق الأوسط (السعودية) ٢٥ آذار/ مارس ٢٠١٤، العدد ١٢٩٠١.

(١٩) المصدر السابق ذكره.

(٢٠) المصدر السابق.

عبر الترويج للعنف والإرهاب باسم أهل السنة والجماعة. مثل هذه الجماعات تلعب دورا مدمّرا وتتسبب بأكبر الضرر للإسلام نفسه. إن العالم الإسلامي بحاجة اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى الوئام والوفاق والتسوية السلمية للقضايا السياسية. هذا أمر ضروري بالنسبة للأمة من أجل أن تتخلص من مثل هذه المواقف والأحداث المدمرة"، ولكنه يعزو وجود هذه الحركات المتطرفة إلى الجمهورية الاسلامية في أيران فيقول "إن الجماعات التي تتبنّى التفاسير الراديكالية، المتعاملة مع الإسلام كآيديولوجية، تتحمّس لفكرة الاستيلاء على الدولة وإعادة تشكيل المجتمع من أعلى إلى أسفل بأسلوب استبدادي... وبما أن الدولة الإيرانية الشيعية كانت ولا تزال رسميا وبفعالية، توظّف مثل هذا النموذج في الحكم منذ ١٩٧٩... فإن أنصار هذا النهج الشيعي، وإن كانوا من السنة، يتصرّفون كملكيين أكثر من الملك. بمعنى أنهم يجدون في الثورة الإيرانية الشيعية تجسيدا لمثلهم العليا. مثل هذه المظاهر المتطرفة قد تتطوّر وتشغل حيزا كبيرا في الظهور في أي مكان، ولا سيما إبان مواجهة الاستعمار والاحتلال".

وقد وضع فتح الله غولن ثلاثة اهداف كبرى نصب عينيه هي:

١- إسلام حديث يمزج بين الحضارة التركية والحضارة الغربية.

٢- ترسيخ هذا الإسلام داخل الاتراك فى انحاء اوروبا

٣- تعزيز الاسلام التركي وتفرده فى مواجهة اسلام عربي سني و"اسلام فارسي شيعي.

ويمتد عدائه أيضًا "إلى العلويين في تركيا"، كما أنه "من المناهضين لإيران. وفقًا لإحدى السرديات، ينسب اليه قوله " إذا كان الذهاب إلى الجنة يتطلب المرور عبر إيران فإنّه سيرفض الرحيل. قد لا يكون ذلك صحيحًا، ولكن من الواضح أن غولن وأتباعه لا يحبون إيران".

٢- ٥ "غولن" والدول العربية

يرى الباحث العربي حسين الرواشدة[٢١]، في بحث له عن الجماعة أن جماعة "غولن" تشكل خطرا لافتاً على الدول العربية، مشيرا إلى أنها في الجانب الديني تقدم تصوراً مختلفاً للدين يقوم على "التقية" لتحقيق أهدافها دون النظر لأحكام الحلال والحرام (الحجاب ودفع الرشوة مثلاً) الأمر الذي يثير مزيداً من الأسئلة حول "تحولاتها" على صعيد الانتشار في البلدان العربية، وخاصة بعد "صراعها الاخير مع اردوغان.

ويوضح الرواشدة، أنه "حين ندقق في طبيعة الجماعة وانتشارها، نكتشف من خلال قراءة فاحصة لأهدافها وتجربتها أن ثمة خمسة عوامل -على الاقل- تقف وراءها:

أولاً: تمييع حالة "التدين" لمواجهة حركة الدين في المجال السياسي والعام، فهي كحركة صوفية تتبنى فكرة "الاسلام الروحي" وتعتقد أنها تستطيع من خلال التغلغل في المجال الاجتماعي ان تصل لمرحلة "التمكين" السياسي، وهذا ما حدث تماماً في تجربتها الحالية.

ثانياً: نزع حالة "العداء الديني" في عالمنا العربي والاسلامي للمشروع الصهيوني وتعميم "التطبيع" مع المحتل تحت ذريعة أن الوقت غير مناسب لمواجهته واستعدائه، وقد تمثلت هذه النزعة في تبرع "غولن" السخي

(٢١) راجع في، تعرف على عبدالله غولن، موقع كلمتي، ١٧ تموز ٢٠١٦.

لإحدى المدارس اليهودية التبشيرية (٢ مليار دولار) ولقاءاته مع الحاخامات، وفي علاقة الجامعات التي انشأتها "الجماعة" مع الجامعات الإسرائيلية، وفي ادانة غولن لسحب السفير التركي من تل ابيب، وفي رفضه لسفينة "مرمرة" حين توجهت لمساندة أهل غزة المحاصرة.

ثالثاً: التأسيس لمجال ديني وسياسي خارج تركيا لخدمة الحركة مستقبلا إذا ما تجاوزت مرحلة "التمكين" وسيطرت (كما كانت تخطط) على مفاصل الدولة التركية، وهذا المجال بدأته في الدول التي يوجد فيها مسلمون من أصول تركية أو غير عربية، ثم وصلت للمغرب العربي وانتهت بالمشرق العربي.

رابعاً: استخدام مناطق النفوذ الديني والثقافي بما تمثله من شخصيات دينية وسياسية للاستقواء على المشروع الذي يمثله أردوغان، وتوظيف ذلك في معركة "الصراع" على السلطة بين "الخدمة" و"حزب العدالة والتنمية" أو بين العثمانيّة التي يدعو إليها أردوغان وتركيا "القوميّة" التي يبشر بها فتح الله غولن.

خامساً: تخويف العالم العربي من خطر الإسلام السياسي، واستخدام ذلك كمظلة للعبور والتغلغل من جهة، وتطمين الدوائر السياسية العربية بأنها جماعة دعوية ترفع شعار "الاسلام الاجتماعي" من جهة اخرى، ثم إغراء المجتمعات العربية بالمشتركات والمصالح التي تحملها كبديل "للاسلام السياسي" الذي أصبح غير مرغوب فيه "ومطلوباً" في هذه المرحلة.

ملحق

ملحق

الهيكل التنظيمي لجماعة فتح الله غولن*

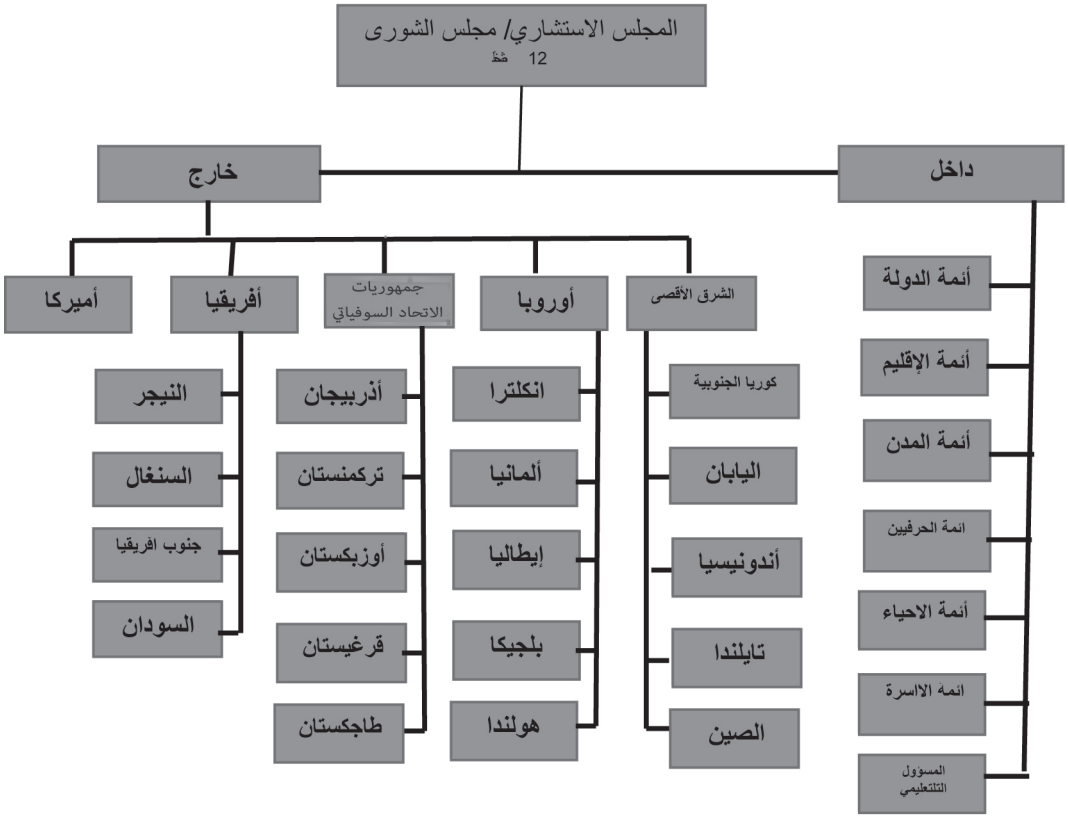

* المصدر: قاسم حسين الربيعي، من هي جماعة فتح الله كولن. وما أفكارها. وأهدافها. تحليل السياسات ٣٨، مركز بلادي للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٥ /٢٠١٦/٧.